أثر الفهم المقاصدي في التعامل مع الأحاديث المشكِلة
(تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة نموذجا)

The impact of intentional understanding in dealing with problematic ahadiths
(The interpretation of the problematic Hadith for Ibn Qutaibah as a model)

د.مصطفى حسن محمد حسن مكي[1]

جامعة الازهر – مصر
mostafa.maky22@gmail.com

تاريخ الوصول 2021/03/17 القبول 2021/05/06 النشر على الخط 2021/07/15
Received 17/03/2021 Accepted 06/05/2021 Published online 15/07/2021

ملخص:

تقوم فكرة البحث على بيان أصالة الفهم المقاصدي في التراث الإسلامي وأثر ذلك الفهم في التعامل مع الأحاديث التي تبدو متعارضة أو مشكلة من خلال دراسة لبعض النماذج من كتاب تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة وابراز كيف كان الفهم المقاصدي معتبرا عند واحد من أبرز علماء القرن الثالث الهجري وقد تناولت الدراسة تسعة نماذج ما بين أحاديث أحكام وفضائل ورقائق وكلها نماذج أثيرت حولها اشكالات من حيث دعوى معارضتها لأحاديث أخرى أو مخالفتها للقرآن أو العقل أو الواقع وبينت الدراسة كيف كان الفهم المقاصدي له أثر في دفع هذه الإشكالات

الكلمات المفتاحية: فهم المقاصد– الاحاديث المشكلة– ازالة الاشكال –اثر المقاصد

Abstract:

The research idea is based on "Originality of Understanding the purposes of the Islamic heritage and the implication of such understanding in dealing with prophet traditions which seem contradictory, as study has shown, with some sample from the book Ta'w Mushkil Al-Ahadith (interpretation of the problematic Ahadith) of Ibn Qutaybah, as well as to show the significance of objective understanding to one of the renown scholars of the third Hijrah century. The study has examined 9examples of hadith among which are hadith on jurisprudential rulings, virtues and Ahadith that discuss softening of theheart. All of which are samples which have been claimed to be problematic because of it contradiction with with other hadith, Quran, reasoning and reality if time. The study expatiates the significamce of objective understanding in warding off these ambiguities

Keywords: Understand the purposes -Hadiths problem-Remove shapes- Impact of intentions.

[1]– المؤلف المرسل: مصطفى حسن محمد حسن مكي البريد الإلكتروني: **mostafa.maky22@gmail.com**

مقدّمة:

الحمد لله الذي شرع لنا دينا قويما ونهجا مستقيما وأنزل على عبده الكتاب وآتاه الحكمة ليبين للناس مانزل إليهم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أما بعد

فقد وعد الله سبحانه وتعالى بحفظ كتابه الكريم من التحريف والتبديل ، ولما كانت السنة مبينة وشارحة له ، قيض الله لها في كل عصر من ينافح عنها ويحمي بيضتها ،إلا أنها ابتليت في هذا العصر ببعض من قلت معرفتهم بالعلوم الشرعية ،فأساءوا فهمها وأنزلوا نصوصها في غير محلها ،فكان لزاماً على العلماء التنبيه ،والتذكير،والإرشاد.

وكان من الموضوعات المهمة التي نظر فيها العلماء وراعوا اعتبارها عند تعاملهم مع النصوص الشرعية قرآنا وسنة موضوع فهم مقاصد النصوص الشرعية وإدراك أبعادها ومراميها حتى يمكن تنزيلها تنزيلا صحيحا يتناسب مع مقاصد الشارع وهذا الموضوع كان مطروقا ومعلوما عند العلماء لكن أول من صنف فيه وبين أصوله وقواعده هو الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات ثم تلاه غيره من العلماء ممن صنف في هذا الباب ثم في أيامنا هذه كثر الكلام في هذا الموضوع ما بين مبالغ في الأخذ بها وبين متمسك بظواهر النصوص رافضا الغوص في مقاصدها وكلا الطرفين ذميم، ومن هنا تأتي أهمية هذا الملتقى لأنه يلقي الضوء على هذا الموضوع المهم وهو الفهم المقاصدي للسنة النبوية وبيان أهميته وضوابطه وإشكالاته

وقد رغبت في المشاركة بهذا البحث، وعنوانه: أثر الفهم المقاصدي في التعامل مع الأحاديث المشكلة- كتاب تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة نموذجا.

وكان اختياري هذا الموضوع لهذه الأسباب:

1 - مانراه في الساحة الإعلامية من هجوم على مسلَّمات الدين وكلام في تشريعاته بغير فهم صحيح لنصوصه
2 - التنبيه على أصالة الفهم المقاصدي في التراث الإسلامي
3 - بيان أثر الفهم المقاصدي في الدفاع عن السنة ضد حملات المشككين فيها
4 - لم أجد في حدود علمي من درس هذا الموضوع عند ابن قتيبة

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، أما المقدمة فالكلام فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث فيه وخطة الدراسة، والتمهيد حول مفردات العنوان ويأتي الكلام فيه أولا – عن تعريف المراد بالفهم المقاصدي . ثانيا- المراد بالأحاديث المشكلة. ثالثا – تعريف موجز بكتاب تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة نماذج في ذلك.

المبحث الأول :نماذج من الأحاديث المشكلة تتعلق بالقرآن وجواب ابن قتيبة عنها وأثر مراعاة المقاصد في ذلك

المبحث الثاني :نماذج من الأحاديث المشكلة تتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وجواب ابن قتيبة عنها وأثر مراعاة المقاصد في ذلك

المبحث الثالث: نماذج من الأحاديث المشكلة تتعلق بالأمة وجواب ابن قتيبة عنها وأثر مراعاة المقاصد في ذلك

منهجي في الدراسة :

وقد انتهجت في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. أما عن طريقة العرض فأذكر – أولا– النص من كتاب ابن قتيبة، فإن رأيت اختلافا كبيرا بين ما أورده ابن قتيبة وما جاء في كتب السنة أذكر النص من كتب السنة وأبين محل الإشكال فيه ثم أذكر جواب ابن قتيبة عن هذا الإشكال ثم أعلق ببيان أثر الفهم المقاصدي في جواب ابن قتيبة وأذكر بعض كلام أهل العلم أيضا في توجيه النص بناء على المقاصد

وأقوم بتخريج الأحاديث الواردة في الدراسة تخريجا علميا وبيان درجة ثبوتها إن كانت في غير الصحيحين فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بالعزو ، ثم في الخاتمة أبين أهم نتائج الدراسة.

تمهيد حول مفردات العنوان:

أولا : المراد بالفهم المقاصدي:

(فهم) الفَهْمُ معرفتك الشيء بالقلب فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفَهامة عَلِمَه ...وفَهِمْت الشيء عَقَلْتُه وعرَفْته[1]

تعريف المقاصد لغة:

المقاصد جمع مقصد، وهي مشتقة من الفعل قصد، وكلمة المقاصد عند أهل اللغة العربية بمعان متعددة، من هذه المعاني:

–استقامة الطريق: ومنه قوله تعالى": وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ"[2]

–العدل والوسط بين الطرفين: وهو ما بين الإفراط والتفريط، والعدل والجَور، ومنه قوله تعالى" وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ".[3]

–الاعتماد والاعتزام وطلب الشيء وإثباته: تقول: (قصدت الشيء، وله، وإليه قصدًا[4]

تعريف المقاصد اصطلاحا:

التعريف الاصطلاحي للمقاصد لم ينقل عن أحد من المتقدمين لأن المعاني عندهم كانت واضحة والذي تكلم فيه هم المعاصرون نظرا لخفاء بعض دلالات الألفاظ على الناس وأشمل تعريف للمقاصد فيما أرى أن " المقاصد: هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكما جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين .[5]

ومن خلال هذا التعريف لكل من الفهم والمقاصد يمكن صياغة تعريف للفهم المقاصدي فنقول هو فهم النصوص النبوية وإدراك مراميها من خلال المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية والمترتبة عليها .

[1]– لسان العرب (459/12)

[2] – النحل: 9

[3] – فاطر: 32

[4]– لسان العرب – ابن منظور (3/ 96)، مختار الصحاح – الرازي، (2/ 24)، المصباح المنير – الفيومي (260

[5] –علم المقاصد الشرعية لنور الدين الخادمي (19)

ثانيا :المراد بالأحاديث المشكلة:

الحديث المشكل هو حديث مقبول أخرج في الكتب المعتبرة ولكنه عورض إما بحديث آخر أو بقاطع من عقل أو حس أو علم أو أمر مقرر في الدين ويمكن تخريجه [1] وهو بهذا أعم وأشمل من مختلف الحديث.

ثالثا: تعريف موجز بكتاب تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة

كتاب تأويل مشكل الحديث[2] لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة هذا الكتاب صنفه ابن قتيبة للدفاع عن الحديث والمحدثين بدأه بمقدمة ذكر فيها تصوير الشبه والمثالب التي اتهم بها المحدثون من بعض الفرق التي بينها وبين المحدثين تنازع في الفكر والمنهج في ذلك الزمان أمثال المعتزلة والخوارج والمرجئة وأصحاب الرأي وغيرهم فذكر مؤاخذاتهم على المحدثين ثم أجاب عنها بأصدق لسان وأروع بيان ، ثم ذكر أمثلة من الأحاديث التي ادعوا عليها التناقض والأحاديث التي ادعوا مخالفتها للقرآن أوالعقل والنظر ثم أجاب عن كل ذلك بأجوبة أجاد في بعضها وقصر في بعضها ولكنه في الجملة يعتبر من أجود الكتب وأروعها في بابه وقد رأيت ابن قتيبة وهو يدفع الإشكالات حول الأحاديث التي أوردها كثيرا ما يعول على المقاصد النبوية في الأحاديث ومن خلال معرفة هذه المقاصد يزول الإشكال الذي ادعوه.

المبحث الأول: نماذج من الأحاديث المشكلة تتعلق بالقرآن وجواب ابن قتيبة عنها وأثر مراعاة المقاصد في ذلك:

النموذج الأول

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " لَوْ جُعِلَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، مَا احْتَرَقَ"[3].

وجه الإشكال في الحديث: قَالُوا: وَهَذَا خَبَرٌ لَا نَشُكُّ فِي بُطْلَانِهِ، لِأَنَّا قَدْ نَرَى الْمَصَاحِفَ تَحْتَرِقُ، وَيَنَالُهَا مَا يَنَالُ غَيْرَهَا مِنَ الْعُرُوضِ وَالْكُتُبِ.

جواب ابن قتيبة

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: وَنَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ لِهَذَا تَأْوِيلًا، ذَهَبَ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، وَأَنَا مُبَيِّنُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَمْرٍو قَالَ: سَأَلْتُ الْأَصْمَعِيَّ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، فَقَالَ: يَعْنِي لَوْ جُعِلَ الْقُرْآنُ فِي إِنْسَانٍ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّار، مَا احْتَرَقَ. أَرَادَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ مِنْ عَلَّمَهُ

---

[1] -بلوغ الامال من مصطلح الحديث والرجال 386

[2] طبع الكتاب طبعات عديدة باسم تأويل مختلف الحديث ولكن حين قمنا بتحقيقه رأينا أن اسمه تأويل مشكل الحديث . ينظر مقدمة تحقيقنا للكتاب ط دار الصالح 2020

[3] ينظر تأويل مشكل الحديث لابن قتيبة (548/1) والحديث أخرجه الدارمي في السنن كتاب فضائل القرآن برقم 3353.واحمد في المسندبرقم 17409 وابو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن (54) وابو يعلى برقم 1745 والطبراني في الكبير 308/17 وابن عدي في الكامل 2460/6 والبغوي في شرح السنة كتاب فضائل القرآن باب فضل تلاوة القرآن رقم 1180 ومدار الحديث على ابن لهيعة يرويه عن مشرح-بكسر اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه – بن هاعان-وابن لهيعة اختلف فيه والقول على ضعفه ومشرح ابن هاعان مختلف فيه ايضا لكن حديثه لا ينزل عن الحسن وقد قال فيه ابن حجر مقبول وهذا عند ابن حجر يعني انه مقبول مع المتابعة اما عند التفرد فضعيف ومشرح لم يفحش القول فيه الا ابن حبان ومعلوم تعنته في الجرح والله أعلم

اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَحَفَّظَهُ إِيَّاهُ، لَمْ تَحْرِقْهُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنْ أُلْقِيَ فِيهَا بِالذُّنُوبِ كَمَا قَالَ أَبُو أُمَامَةَ: "احْفَظُوا الْقُرْآنَ، أَو اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، وَلَا تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ الْمَصَاحِفُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ"[1] وَجَعَلَ الْجِسْمَ ظَرْفًا لِلْقُرْآنِ كَالْإِهَابِ. وَالْإِهَابُ: الْجِلْدُ الَّذِي لَمْ يُدْبَغْ.

وَلَوْ كَانَ الْإِهَابُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَدْبُوغًا، مَا جَازَ أَنْ يَجْعَلَهُ كِنَايَةً عَنِ الْجِسْمِ.

وَمِثْلُهُ قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا – حِينَ خَطَبَتْ وَوَصَفَتْ أَبَاهَا فَقَالَتْ: "قَرَّرَ الرُّءُوس عَلَى كَوَاهِلِهَا، وَحَقَنَ الدِّمَاءَ فِي أُهُبِهَا"[2] تَعْنِي: فِي الْأَجْسَادِ.

وفيه قول آخر، قال بعضهم: كان هذا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم علما للنبوة، ودليلا على أن القرآن كلام الله تعالى، ومن عنده نزل، أبانه الله تعالى بهذه الآية في وقت من تلك الأوقات، وعند طعن المشركين فيه ثم زال ذلك بعد النبي صلى الله عليه وسلم، كما تكون الآيات في عصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، من ميت يحيا، وذئب يتكلم، وبعير يشكو، ومقبور تلفظه الأرض، ثم يعدم ذلك بعدهم.

وفيه قول آخر، وهو أن يرد المعنى في قوله: "ما احترق" إلى القرآن لا إلى الإهاب.

يريد: أنه إن كتب القرآن في جلد، ثم ألقي في النار، احترق الجلد والمداد، ولم يحترق القرآن، كأن الله عز وجل يرفعه منه، ويصونه عن النار. ولسنا نشك في أن القرآن في المصاحف على الحقيقة، لا على المجاز، كما يقول أصحاب الكلام: "إن الذي في المصحف، دليل على القرآن وليس به".[3]

الفهم المقاصدي وأثره في دفع الإشكال

بادئ ذي بدء أود أن أقرر أن المقصد الرئيس الذي قام عليه كتاب ابن قتيبة كله هو مقصد حفظ الدين فحفظ الدين من مقتضياته حفظ أصوله والدفاع عنها ضد شبهات المشككين فهذا المقصد يعد مرتكزا عاما في التصدي لدفع هذا الإشكال وغيره أما المقصد الخاص الذي ارتكز عليه ابن قتيبة أن المقصود من هذا الحديث تعظيم القران الكريم وتعظيم حامليه وهذا المقصد دلائله كثيرة جدا في القرآن وفي السنة وارتكازا على هذين المقصدين راح ابن قتيبة يجيب عن هذا الإشكال بما يدفعه بتأويله

لقد رأينا من خلال الجواب أن ابن قتيبة ومن قبله الأصمعي راعوا في معنى الحديث البعد المقاصدي الذي أشرنا اليه ،ومن خلال إدراك هذا المقصد، تأولوا معنى الحديث على أن المراد هو حافظ القرآن، وأن القرآن ينجي صاحبه يوم القيامة، وقد استعان لتأكيد هذا المعنى بالأثر واللغة، أما الأثر: فما ورد عن أبي أمامة رضي الله عنه " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعَذِّبُ بِالنَّارِ قَلْبًا وَعَى الْقُرْآنَ" وَجَعَلَ

[1] – أخرجه الدارمي في كتاب فضائل القرآن باب فضل من قرأ القرآن برقم 3323 والبخاري في خلق افعال العباد 87/1 وفي اسناده شرحبيل بن مسلم الخولاني صدوق فيه لين كما قال الحافظ في التقريب لكنه متابع عند الدارمي نفسه في نفس الموضع عن سليم ابن عامر ومتابعة اخرى عند ابن ابي شيبة في المصنف 358/13 عن القاسم بن محمد فيرتقي بهذه المتابعات للحسن

[2] – أخرجه الطبراني في المعجم الكبير 184/23 برقم 300 واسناده منقطع لان احمد السدوسي راويه عن عائشة ولم يدركها

[3] – تأويل المشكل لابن قتيبة (548/1)

الْجِسْمَ ظَرْفًا لِلْقُرْآنِ كَالْإِهَابِ، وأما اللغة فإنها تطلق الإهاب على الجلد الذي لم يدبغ، ولو كان مدبوغا لم يصح إطلاقه كناية عن الجسم ، وأكد هذ المعنى اللغوي بالأثر الوارد عن عائشة فهذا جواب عن الإشكال وله ما يؤيده [1]

وقد حكى ابن قتيبة جوابين آخرين أحدهما: أن يرد المعنى في قوله "ما احترق " إلى القرآن لا إلى الإهاب يريد: أنه إن كتب القرآن في جلد، ثم ألقي في النار، احترق الجلد والمداد، ولم يحترق القرآن، كأن الله عز وجل يرفعه منه، ويصونه عن النار.[2] وهذا الجواب فيه نظر من حيث اللغة، فالسياق لا يساعده ،لأنه من المقرر أن الضمير يعود إلى أقرب مذكور ما لم يكن مستحيلا، وأقرب مذكور هو الإهاب، وإن كان قد ورد في صحيح مسلم[3] ما في معناه، لكن السياق مختلف من حديث عياض المجاشعي الطويل وفيه " وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ ، فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ ، إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَقَالَ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ " جاء في إكمال المعلم في بيان معنى قوله لا يغسله الماء "فيحتمل أن يشير إلى أنه أودعه قلبه ، وسهل عليه حفظه ، وما فى القلوب لا يخشى عليه الذهاب بالغسل . ويحتمل أن يريد الإشارة إلى حفظه وبقائه على مر الدهر ، فكنى عن هذا بهذا اللفظ ."[4] وهو عين ما أجاب به ابن قتيبة عن الحديث الذي معنا

والجواب الآخر :وهو جواز حمله على الظاهر ويكون ذلك معجزة خاصة بزمن النبي صلى الله عليه وسلم "فنلاحظ هنا أن ابن قتيبة اعتبر في هذا الجواب المقصد الآني أي المرتبط بزمان وقوع الحدث ، مع أن هذا الجواب قد لا يسلم فلو كان الأمر كذلك لنقل إلينا كما نقلت إلينا معجزاته صلى الله عليه وسلم ،وبهذا نجد ابن قتيبة قد ارتكز على المقاصد واعتمد عليها في إزالة الشبه التي ألصقوها بهذا الحديث، وان كان واضحا أنه ارتضى المعنى الأول والذي يؤكد اعتماد ابن قتيبة لهذا المعنى تصديره به في الجواب والتدليل عليه باللغة والأثر

النموذج الثاني

قالوا: رويتم "قلب القرآن يس[5]، وسنام[1] القرآن البقرة،[2]

---

[1] – ولا يعترض على هذا الجواب بما جاء في وصف الخوارج انهم يقرؤن القرآن ولا يجاوز تراقيهم لان المقصود هو اهله العاملون به

[2]– مشكل الحديث لابن قتيبة

[3]– مسلم كتاب الجنة باب صفة اهل الجنة والنار برقم 7309

[4]– اكمال المعلم 198/8

[5]– أخرجه الترمذي من حديث انس أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فى فضل يس (14/5) برقم 2887 قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَبِالْبَصْرَةِ لاَ يَعْرِفُونَ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَهَارُونُ أَبُو مُحَمَّدٍ شَيْخٌ مَجْهُولٌ. قلت : والحديث له شواهد لا تخلو من ضعف. فأما حديث أبي هريرة فأخرجه – البزار كما عزاه إليه ابن كثير فى التفسير (547/6

ففيه حميد المكى مولى بن علقمة وهو مجهول كما قال الحافظ فى التقريب (218)

وأما حديث معقل بن يسار فأخرجه : أحمد فى المسند (26/5) برقم 20300 وفيه راويان مبهمان والمبهم يأخذ حكم المنقطع .

وأما حديث أبى بن كعب فأخرجه :القضاعى مسند الشهاب (131/2) ح 1036 فيه على بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما قال ابن حجر فى التقريب (468) وفيه مخلد بن عبدالواحد قال فيه ابن حبان منكر الحديث جدًا (انظر المجروحين (43/3)

فهذه شواهد ثلاثة لا تخلو كلها من الضعف الذى يصعب معه أن يرتقى الحديث عن درجة الضعف

وتجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو غيايتان أو فرقان من طير صواف"[3].

و"يأتي القرآن الرجل، في قبره، فيقول له: كيت [4]وكيت".[5]

وجه الإشكال

قالوا :هذا كله يدل على أن القرآن مخلوق. ولا يجوز أن يكون ما له قلب وسنام، وما كان غمامة أو غياية، غير مخلوق.[6]

جواب ابن قتيبة

قال أبو محمد:ونحن نقول: إنه قد كان ينبغي لهؤلاء -إذا كانوا أصحاب كلام وقياس- أن يعلموا أن القرآن لا يكون جسما ولا ذا حدود وأقطار.

وإنما أراد بقوله: "سنام القرآن البقرة" أعلاه، كما أن السنام من البعير أعلاه.

وأراد بقوله: "قلب القرآن يس" أنها من القرآن، كمحل القلب من البدن.

وأراد بقوله: "تجيء البقرة وآل عمران، كأنهما غمامتان" أن ثوابهما يأتي قارئهما، حتى يظله يوم القيامة، ويأتي ثوابه الرجل في قبره، ويأتي الرجل يوم القيامة حتى يجادل عنه، ويجوز أن يكون الله تعالى يجعل له مثالا، يحاج عنه ويستنقذه.

---

[1] – سنام : سنام كل شئ أعلاه وهو بفتح السين وسميت السورة بذلك إما لطولها وإما لأن فيها الأمر بالجهاد وفيه العلو والرفعه . النهاية (409/2) تحفة الأحوذى (181/8)

[2] – جزء من حديث أبى هريرة أخرجه : الترمذى أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فى فضل سورة البقرة وآية الكرسى (7/5 ، 8) ح 2878 قال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ وَقَدْ تَكَلَّمَ شُعْبَةُ فِي حَكِيمِ بْنِ جُبَيْرٍ وَضَعَّفَهُ وأخرجه الحاكم فى المستدرك كتاب فضائل القرآن أخبار فضل سورة البقرة (560/1) وفى كتاب التفسير باب من سورة البقرة (259/2) من طريق أبى بكر محمد بن أحمد بن بالويه بالإسناد السابق . وقال عقبه : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبى وأخرجه من حديث سهل بن سعد : ابن حبان كتاب الرقائق باب قراءة القرآن (78/2) إحسان ح 777 وأبو يعلى فى المسند (547/13) ح 7554 ومن حديث معقل بن يسار أخرجه : أحمد فى المسند (26/5) فحديث أبي هريرة اشار الترمذي الى ضعفه وحديث سهل أخرجه ابن حبان في صحيحه مما يعني صحته عنده على شرطه وفى إسناده خالد بن سعيد المدنى قال العقيلى فى الضعفاء : لا يتابع على حديثه وحديث معقل بن يسار فيه روايان مبهمان لم يصرح باسمهما وهكذا لا تخلو طرقه من ضعف لكنه يرتقي بمجموعها للحسن لغيره

[3] – أخرجه من حديث النواس ابن سمعان مسلم كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (197/2 ، 198)

[4] – كيت : قال ابن الأثير هى كناية عن الأمر نحو كذا وكذا . قال أهل العربية : إن أصلها كيّة بالتشديد والتاء فيها بدل من إحدى اليائين والهاء التى فى الأصل محذوفة وقد تضم التاء وتكسر النهاية (217/4)

[5] – جاء فى هذا المعنى حديث بريدة عند أحمد فى المسند (348/5) والدارمي من كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة البقرة وآل عمران (11/5 ، 12) ولفظه قال بريدة كنت جالسًا عند النبى ﷺ فسمعته يقول : تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة ، وتركها حسرة ، ولا يستطيعها البطلة ، ثم سكت ساعة ، ثم قال : تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهروان ، وأنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة ، كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف ، وأن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه القبر كالرجل الشاحب فيقول : هل تعرفنى ؟ فيقول ما أعرفك ؟ فيقول : أنا صاحبك القرآن الذى أظمأتك فى الهواجر وأسهرت ليلك وإن كل تاجر من وراء تجارته وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسى والديه حلتان لا تقوم لهما الدنيا فيقولان بما كسينا هذا ؟ فيقال لهما بأخذ ولدكم القرآن ثم يقال له إقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها فهو فى صعود ما دام يقرأ هذّا كان أو ترتيلاً " وإسناده فيه بشير بن المهاجر قال فيه احمد اعتبرت أحاديثه فإذا هو يأتي بالعجب ومداره عليه وليس له متابع

[6] – تأويل مشكل الحديث (669/2)

قال أبو محمد:... عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يمثل القرآن يوم القيامة برجل، ويؤتى بالرجل قد كان يضيع فرائضه، ويتعدى حدوده، ويخالف طاعته، ويركب معصيته ..." الحديث بطوله .[1]

المعنى المقاصدي وأثره

نلاحظ ان المقصد الذي ارتكز عليه ابن قتيبة هنا مع ما أشرنا إليه سابقا هو مقصد تعظيم القرآن وتنزهيه عما ادعاه عليه أهل البدع من كونه مخلوقا، ثم راح يدفع الإشكال، فبين تناقضهم حيث إنهم يحتكمون لمقاييس العقل والنظر، والعقل والنظر يدفع هذا الإشكال بالكلية، لأنه مشاهد للعيان أن القرآن ليس جسما، ولا ذا حدود وأقطار حتى تحمل الأحاديث على معناها الظاهري، ثم بين أن المقصود من هذه الأخبار – على ما في بعضها من ضعف– هو بيان فضائل هذه السور ،وليس وصفا للقرآن، وأن المقصود هو بيان منزلة سورة البقرة بين سور القرآن ، واستدل على صحة هذا المعنى بوروده في الاستعمال العربي ، فالذي يطلق عليه السنام هو أعلى البعير، وأراد بقلب القرآن يس ، أنها كمحل القب من الجسد، فالمعنى هنا مجازي قائم على التشبيه ،وهنا ينبغي أن أنبه إلى أن حديث قلب القرآن يس ضعيف كما بينته، وكان الأولى بابن قتيبة أن يرد عليهم بعدم ثبوته ولا حاجة للتأويل ،ولكن لعله دفع الشبهة على احتمال وجود ما يقويه، أومجاراة للخصم ،وأما الحديث الآخر " تجيء البقرة وآل عمران" فالمقصود إتيان الثواب لقارئهما، وذكر احتمالا آخر أنه قد يكون المقصود أن الله يجعل له مثالا، واستدل على أن هذا المعنى تمثيل وليس حقيقة بما جاء في الحديث أن القرآن يمثل يوم القيامة برجل ..."الحديث. فقوله: يمثل دليل على أنه يجعل له مثال وهكذا كان النظر في المقاصد حاملا لابن قتيبة على التأويل

وبعد أن ذكر ابن قتيبة مقاصد الأحاديث التي أوردوها ،وزعموا دلالتها على خلق القرآن ، وبمعرفة المقاصد التي سيقت الأحاديث لأجلها سقط ما ادعوه، ثم راح يناقشهم بحجج عقلية تثبت بطلان كلامهم ودعواهم بأن القرآن مخلوق، والذي يهمنا إثباته هنا هو أن ابن قتيبة نظر إلى المقاصد وأثبت أن المعنى المجازي هو المقصود ودلل على صحة هذا باللغة وبما ورد في الأثر كما بينته والله أعلم

المبحث الثاني:نماذج من الأحاديث المشكلة مما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم وجواب ابن قتيبة عنها وأثر مراعاة المقاصد في ذلك

النموذج الأول : عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أنا أحق بالشك من أبي إبراهيم، ورحم الله لوطا، إن كان ليأوي إلى ركن شديد، ولو دعيت إلى ما دعي إليه يوسف لأجبت" [2]

---

[1]- مرجع سابق 669/2 والحديث أخرجه ابن قتيبة باسناده وابن أبي شيبة فى المصنف كتاب فضائل القرآن باب من قال يشفع القرآن لصاحبه يوم القيامة و البخارى فى خلق أفعال العباد ص (85) ذكر ببعضه مختصرًا و البزار كتاب التفسير باب القراء الطائعين وغيرهم (98/3) كشف الأستار و إسناد ابن قتيبة حسن لأن فيه محمد ابن إسحاق وهو صدوق وشعيب بن محمد عبد الله بن عمرو بن العاص وهو صدوق أيضًا وبقية رجال الإسناد ثقات أما تدليس ابن إسحاق فقد أمن لأنه صرح بالتحديث عند البخارى فى خلق أفعال العباد والله أعلم

[2]- الحديث أخرجه البخاري كتاب احاديث الأنبياء باب قوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم برقم 3372 وأخرجه مسلم في كتاب الايمان باب طمانينة القلب برقم 151 ولفظ البخاري " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} وَيَرْحَمُ اللَّهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ، لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ "

وجه الإشكال

قالوا: وهذا طعن على إبراهيم، وطعن على لوط، وطعن على نفسه عليهم السلام.

جواب ابن قتيبة:

قال أبو محمد: ونحن نقول: إنه ليس فيه شيء مما ذكروا، بحمد الله تعالى ونعمته، فأما قوله: "أنا أحق بالشك من أبي إبراهيم عليه السلام، فإنه لما نزل عليه: {وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي}[1] قال قوم سمعوا الآية: شك إبراهيم صلى الله عليه وسلم، ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم ". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا أحق بالشك من أبي إبراهيم عليه السلام " تواضعا منه، وتقديما لإبراهيم على نفسه. يريد: أنا لم نشك، ونحن دونه، فكيف يشك هو؟

وتأويل قول إبراهيم عليه السلام: {ولكن ليطمئن قلبي} أي: يطمئن بيقين النظر – واليقين جنسان: أحدهما: يقين السمع، والآخر يقين البصر. ويقين البصر أعلى اليقينين، .... فأراد إبراهيم، عليه السلام، أن يطمئن قلبه بالنظر الذي هو أعلى اليقينين.

وأما قوله: "رحم الله لوطا إن كان ليأوي إلى ركن شديد" فإنه أراد قوله لقومه {لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد} يريد: سهوه في هذا الوقت الذي ضاق فيه صدره، واشتد جزعه، بما دهمه من قومه، حتى قال: {أو آوي إلى ركن شديد} وهو يأوي إلى الله تعالى، أشد الأركان.

قالوا: فما بعث الله نبيا بعد لوط، إلا في ثروة من قومه.[2]

وأما قوله: "لو دعيت إلى ما دعي إليه يوسف لأجبت"، يعني حين دعي للإطلاق من الحبس، بعد الغم الطويل، فقال للرسول: {ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن} ولم يخرج من الحبس في وقته، يصفه بالأناة والصبر.

وقال: "لو كنت مكانه، ثم دعيت إلى ما دعي إليه من الخروج إلى الحبس، لأجبت، ولم أتلبث". وهذا أيضا جنس من تواضعه، لا أنه كان عليه، لو كان مكان يوسف فبادر وخرج، أو على يوسف لو خرج من الحبس مع الرسول، نقص ولا إثم. وإنما أراد أنه لم يكن يستثقل محنة الله عز وجل له فيبادر ويتعجل، ولكنه كان صابرا محتسبا.[3]

أثر المقاصد في هذا الجواب

لعل العجيب هنا في هذا النموذج أن المقصد الذي استند إليه المعترض هو عينه ذات المقصد الذي استند اليه ابن قتيبة وهو حفظ الدين والدفاع عن أنبياء الله ورسله من الطعن فيهم

لكن الفارق بين المعترض والمدافع أن المعترض مقصده الحقيقي الطعن في السنة بالكلية ولا يلتفت إلى كون هذا النص قد ثبت أو لا ، بينما المدافع ينظر أولا لثبوت النص، فإن ثبت فلا بد أن له وجها مقبولا يقصده صاحب الشرع الشريف، ولما ثبت لدينا هذا

---

[1]- سورة البقرة من الآية260

[2] – هذا لفظ حديث أخرجه الترمذى في السنن كتاب التفسير / سورة يوسف (82/8) رقم (3116) قال وهذا حديث حسن الحاكم فى المستدرك (561/2 ، 570) ، فى التاريخ / باب لم يبعث نبى بعد لوط إلا فى ثروة من قومه وقال على شرط مسلم ولم يخرجا هذه الزيادة وسكت عنه الذهبى

[3]- تأويل مشكل الحديث 321/1 ومابعدها بتصرف

النص، وظاهره يتعارض مع مقصد من أهم مقاصد الشريعة وهو حفظ النبوة وتنزيهها عما يقدح فيها، ولما كان محالا أن يقصد النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطعن في إخوانه من الأنبياء ،فضلا عن الطعن في نفسه، كان لزاما أن هناك تأويلا مقبولا وسائغا قصده رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كشفه ابن قتيبة من خلال جوابه

فوجه قوله "أنا أحق بالشك" على سبيل التواضع وتقديم إبراهيم على نفسه، ولما كان متحققا عند المستمعين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقع منه شك، فهذا نفي بطريق الأولى عن إبراهيم، وتوجيه ما ورد عن سيدنا إبراهيم بأنه رغب في الترقي في درجات اليقين، ولم يكن ذلك منه شك أصلا، والملاحظ في هذا الجواب أنه يرتكز على قواعد شرعية معلومة فكون اليقين درجات معلوم من القرآن ، وهناك أمر آخر أهم من هذا لم يشر إليه ابن قتيبة وهو أن سؤال سيدنا ابراهيم بـ (كيف) يدل على يقينه بالإحياء، ولكن يريد مشاهدة الكيفية ليرتقي من علم اليقين إلى عين اليقين، فإذا انتفى الشك عن سيدنا إبراهيم فُهم أن مقصد النبي صلى الله عليه وسلم التواضع، ولا يتعارض هذا مع تفضيل الله له على سائر الأنبياء، جاء في الفتح "وَأَمَّا الْحَدِيثُ فَمَبْنِيٌّ عَلَى نَفْيِ الشَّكِّ وَالْمُرَادُ بِالشَّكِّ فِيهِ الْخَوَاطِرُ الَّتِي لَا تَثْبُتُ وَأَمَّا الشَّكُّ الْمُصْطَلَحُ وَهُوَ التَّوَقُّفُ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ مِنْ غَيْرِ مَزِيَّةٍ لِأَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ فَهُوَ مَنْفِيٌّ عَنِ الْخَلِيلِ قَطْعًا لِأَنَّهُ يَبْعُدُ وُقُوعُهُ مِمَّنْ رَسَخَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ فَكَيْفَ بِمَنْ بَلَغَ رُتْبَةَ النُّبُوَّةِ قَالَ وَأَيْضًا فَإِنَّ السُّؤَالَ لَمَّا وَقَعَ بِكَيْفَ دَلَّ عَلَى حَالِ شَيْءٍ مَوْجُودٍ مُقَرَّرٍ عِنْدَ السَّائِلِ وَالْمَسْئُولِ كَمَا تَقُولُ كَيْفَ عِلْمُ فُلَانٍ فَكَيْفَ فِي الْآيَةِ سُؤَالٌ عَنْ هَيْئَةِ الْإِحْيَاءِ لَا عَنْ نَفْسِ الْإِحْيَاءِ فَإِنَّهُ ثَابت مُقَرر "[1].

أما ما ذكر عن سيدنا لوط فلم يقصد النبي الطعن فيه وحاشاه من ذلك وقد حمله ابن قتيبة على أنها حال سهوة من شدة الكرب وله محامل أخرى أقوى من هذا وأولى " يُقَالُ إِنَّ قَوْمَ لُوطٍ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ أَحَدٌ يَجْتَمِعُ مَعَهُ فِي نَسَبِهِ لِأَنَّهُمْ مِنْ سَدُومَ وَهِيَ مِنَ الشَّامِ، وَكَانَ أَصْلُ إِبْرَاهِيمَ وَلُوطٍ مِنَ الْعِرَاقِ، فَلَمَّا هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ إِلَى الشَّامِ، هَاجَرَ مَعَهُ لُوطٌ، فَبَعَثَ اللَّهُ لُوطًا إِلَى أَهْلِ سَدُومَ ،فَقَالَ لَوْ أَنَّ لِي مَنَعَةً وَأَقَارِبَ وَعَشِيرَةً لَكُنْتُ أَسْتَنْصِرُ بِهِمْ عَلَيْكُمْ لِيَدْفَعُوا عَنْ ضِيفَانِي، وَلِهَذَا جَاءَ فِي بَعْضِ طرق هَذَا الحَدِيث كَمَا أخرجه أحمدمن طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ "قَالَ لُوطٌ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيد قَالَ فَإِنَّهُ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ وَلَكِنَّهُ عَنَى عَشِيرَتَهُ فَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إلا في ذروة من قومه"[2] زاد ابن مردويه من هذا الوجه "ألم تر إلى قول قوم شعيب "ولولا رهطك لرجمناك" وقيل معنى قوله لقد كان يأوي إلى ركن شديد أي إلى عشيرته لكنه لم يأو إليهم وأوى إلى الله .انتهى ، والأول أظهر لما بيناه وقال النووي: يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك أو أنه التجأ إلى الله في باطنه وأظهر هذا القول للأضياف اعتذارا، وسمى العشيرة ركنا لأن الركن يستند إليه ويمتنع به فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم ومنعتهم "[3] وكلها وجوه سائغة مؤيدة بالأثر واللغة ومنسجمة مع مقصد تنزيه النبوة من الطعن، ويلاحظ أن هذه الوجوه

[1] – فتح الباري 475/6

[2] – مسند احمد برقم (10903) وقال الارناؤط : حديث صحيح، وهذا إسناد حسن من أجل محمد بن عمرو– وهو ابن علقمة الليثي–، وقد توبع، انظر (8329) ، وأبو عمر الضرير –وهو حفص بن عمر البصري– حسن الحديث، روى له أبو داود، ومتابعه هنا أمية بن خالد، ثقة من رجال مسلم.

[3] – فتح الباري (478/6)

عرفت من النظر في السياق وسبب الورود وهذا يؤكد أهمية معرفة السياق وسبب الورود لمعرفة مقصد الشارع من كلامه لا سيما إن كان مشكلا

وما صدر من النبي بشأن سيدنا يوسف، فمقصد التواضع فيه ظاهر لا يحتاج إلى تدليل كيف وقد ثبت فضيلته على جميع الأنبياء فلم يبق من هذه الإشكالات شئ يتمسك به وقد كان النظر في المقاصد هو الركيزة في دفع هذه الإشكالات .

النموذج الثاني

قالوا: رويتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تفضلوني على يونس بن متى"[1]. ولا تخايروا بين الأنبياء"[2] ثم رويتم أنه قال: "أنا سيد ولد آدم، ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر"[3].

وجه الإشكال

قالوا: وهذا، اختلاف وتناقض.لأن الأول نهى عن التفضيل والثاني أثبت لنفسه الفضل، كذا زعموا

جواب ابن قتيبة

قال أبو محمد: ونحن نقول: إنه ليس ههنا اختلاف ولا تناقض.

وإنما أراد أنه سيد ولد آدم يوم القيامة، لأنه الشافع يومئذ، والشهيد، وله لواء الحمد والحوض، وهو أول من تنشق عنه الأرض.

وأراد بقوله: "لا تفضلوني على يونس" طريق التواضع.

وكذلك قول أبي بكر رضي الله عنه: "وليت عليكم، ولست بخيركم".[4]

وخص يونس لأنه دون غيره من الأنبياء، مثل إبراهيم وموسى، وعيسى صلى الله عليهم وسلم أجمعين. يريد فإذا كنت لا أحب أن أفضل على يونس، فكيف غيره، ممن هو فوقه؟

---

[1]- لفظ الحديث عن النبى " لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس بن متى " وفى رواية " ما ينبغى لعبد أن يقول إنى خير من يونس بن متى " وفى رواية " ولا أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى " أخرجه البخارى فى أحاديث الأنبياء /باب قوله تعالى " وإن يونس لمن المرسلين" (3413) من حديث ابن عباس و مسلم فى الفضائل / باب فضائل موسى (487/5) رقم (2377) ولم اقف على لفظ فيه لا تفضلوني وكأن ابن قتيبة حكاه بالمعنى

[2]- لفظ الحديث " عن أبى سعيد الخدرى قال: " بينا رسول الله جالس جاء يهودى فقال يا أبا القاسم ضرب وجهى رجل من أصحابك : فقال : من ؟ قال رجل من الأنصار قال : ادعوه ، فقال : أضربته ؟ قال سمعته بالسوق يحلف والذى اصطفى موسى على البشر فقلت : أى خبيث على محمد ؟ فأخذتنى غضبة فضربت وجهه فقال النبى " لا تخيروا بين الانبياء فإن الناس يصعقون فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أكان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى " أخرجه البخاري فى الخصومات / باب ما يذكر فى الإشخاص والملازمة والخصومة بين المسلم واليهودى (2412) (5 / 88) وفى التفسير / باب " ولما جاء موسى لميقاتنا " (4638) أبو داود فى السنة / باب فى التخيير بين الأنبياء (8 /57) رقم 4656) مختصرا

[3] -أخرجه مسلم من حديث ابي هريرة مسلم فى الفضائل / باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق (15 / 412) رقم (2278) و أبو داود فى السنن كتاب السنة / باب فى التخيير بين الأنبياء (58/8) رقم (4658)

[4] أخرجه ابن اسحاق في السيرة النبوية 493/4 واسناده صحيح

وقد قال الله تعالى: {فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت}[1] أراد أن يونس لم يكن له صبر كصبر غيره من الأنبياء. وفي هذه الآية، ما دلك على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه، لأن الله تعالى يقول له: لا تكن مثله. ودلك على أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد بقوله: "لا تفضلوني عليه" طريق التواضع.

ويجوز أن يريد: لا تفضلوني عليه في العمل، فلعله أكثر عملا مني، ولا في البلوى والامتحان، فإنه أعظم مني محنة.

وليس ما أعطى الله تعالى نبينا صلى الله عليه وسلم يوم القيامة من السؤدد، والفضل على جميع الأنبياء والرسل بعمله، بل بتفضيل الله تعالى إياه، واختصاصه له، وكذلك أمته أسهل الأمم محنة. بعثه الله تعالى إليها بالحنيفية السهلة، ووضع عنها الإصر والأغلال التي كانت على بني إسرائيل في فرائضهم. وهي – مع هذا– خير أمة أخرجت للناس، بفضل الله تعالى.[2]

الفهم المقاصدي وأثره في الجواب

المقصد الرئيس الذي ارتكز عليه ابن قتيبة هو استحالة أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم كلامه متناقضا، ومعلوم أولا أن التفاضل بين الأنبياء أثبته القرآن " تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض..."الآية كما ثبت من نصوص كثيرة فضل النبي صلى الله عليه وسلم على عموم الخلائق، ومنها الحديث السابق ، فكيف نفهم نهي النبي صلى الله عليه وسلم هنا عن تفضيله على يونس ، ونهيه عن التخاير بين الأنبياء ، وما مقصده منه؟

لقد وجه ابن قتيبة الحديث عن طريق التخصيص الزماني بأن هذه الفضيلة تظهر في أجلى صورها يوم القيامة [3]

وأما نهيه أن يفضل على نبي الله يونس فمحمول على التواضع، وذكر نموذجا مقاربا من كلام الصديق يوم تولى الخلافة

وذكر احتمالا آخر هو أن المقصود لا تفضلوني عليه في العمل ، فلعله أكثر عملا مني، ولا في البلوى والامتحان ، فانه أعظم مني محنة ، وهذان الأخيران توجيههما ضعيف فيبقى الوجه الأول وهو أن مقصده التواضع ، وهناك احتمال آخر حكاه ابن حجر قال: " قوله: ما ينبغي لأحد ، وفي رواية لعبد ، أن يقول أنا خير من يونس ، يحتمل أن يكون المراد أن العبد القائل هو الذي لا ينبغي له أن يقول ذلك ، ويحتمل أن يكون المراد بقوله أنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاله تواضعا"[4]

ومن العلماء من قال: إن هذا النهي صدر عن النبي قبل أن يعلم أنه افضل أو أن النهي عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول أو أن النهي عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة أو أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها [5]

وقد ورد في سياق حديث لا تخيروا بين الأنبياء ما يشعر أن فيه تنقيصا لبعض الأنبياء أدى إلى منازعة وهو وجه متجه يؤيده السياق فأفادنا هذا التوجيه أن معرفة السياق وسبب الورود مما يعين على فهم المقصود ومن ثم إزالة الإشكال المترتب على الفهم

---

[1] سورة القلم آية 48

[2] تأويل مشكل الحديث (359/1)

[3] – وقد رد الإمام النووي على ابن قتيبة بتخصيص هذا بيوم القيامة لانه صلى الله عليه وسلم سيدهم في الدنيا والاخرة وانما قيده بذلك لانه في يوم القيامة يظهر سؤدد لكل احد ولا يبقى معاند ولا منازع بخلاف الدنيا فقد نازعه فيها ملوك الكفار وزعماء المشركين ولم يقروا له بالسيادة .شرح مسلم للنووي (37/15)

[4] – فتح الباري (116/8)

[5] – شرح النووي عى مسلم (15 /73,38)

القاصر، وعند التأمل فيما ورد بشأن سيدنا يونس ، والنظر في الرويات وسياقاتها، نجد أن المعنى الذي جعل النبي يقول ما قال ،هو استشعاره تنقيص قدر سيدنا يونس عند البعض، فقد جاء في البخاري في رواية لهذا الحديث "من قال انا خير من يونس فقد كذب "[1] فهذا يدل على أن النبي نما إليه كلام يفيد هذا المعنى الذي أشرنا إليه، وتكذيبه منصب على التفضيل في أصل النبوة لا شك؛ لما قدمنا. وقد ورد هذا اللفظ في بعض طرق خبر اليهودي الذي قال: لا، والذي اصطفى موسى .."[2] مما يدل على أن هذا القول صدر من النبي صلى الله عليه وسلم لسبب، وقد ورد لفظان في بعض الروايات توجه معنى التفضيل في شئ بعينه، وذلك فيما أخرجه الطحاوى وغيره بنحو الحديث السابق وزاد فيه"قَدْ سَبَّحَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي الظُّلُمَاتِ "[3] وفي رواية أخرى زاد قوله " أَصَابَ ذَنْبًا، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ " فدلت هذه الألفاظ على أن مقصد النبي كان ردا على من استشعر منهم تنقيص سيدنا يونس فذكر له فضيلة لم يشاركه فيها غيره وأن الله اجتباه بعد الذنب وقد قال بنحو من ذلك الإمام الطحاوي [4] وهذا كله يضع أيدينا على ضابط مهم وهو أننا لا نصل إلى فهم المعنى المقاصدي إلا بجمع الروايات والتأمل فيها وفي أسباب ورودها

النموذج الثالث:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "منبري هذا، على ترعة من ترع الجنة" " وما بين قبري ومنبري، روضة من رياض الجنة"[5]

موضع الإشكال

قالوا هذا الحديث يكذبه النظر والعيان، والخبر والقرآن ، فالقرآن يخبر أن الجنة عند سدرة المنتهى والحديث يخبر أن الجنة في السماء السابعة، قالوا: وهذا، اختلاف وتناقض. فحملوا الحديث على ظاهره ومن ثم ادعوا التناقض

جواب ابن قتيبة

قال أبو محمد: ونحن نقول: إنه ليس ههنا اختلاف ولا تناقض، فإنه لم يرد بقوله: "ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة" أن ذلك بعينه روضة، وإنما أراد أن الصلاة في هذا الموضع، والذكر فيه، يؤدي إلى الجنة، فهو قطعة منها، ومنبري هذا هو على ترعة من

---

[1]- البخاري كتاب التفسير باب انا اوحينا اليك برقم 4604

[2]- البخاري احاديث الانبياء باب وان يونس لمن المرسلين برقم 3414

[3]- أخرجه الطحاوي في شرح مشكل الاثار بَابُ بَيَانِ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَهْيِهِ أَنْ يُقَالَ: هُوَ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ برقم 1013 واشار الى احتمال كونه مرويا عن الله عز وجل وأخرجه ابن الجعد في مسنده برقم 67 وفي إسناده عبد الله ابن سلمة صدوق تغير حفظه كما في التقريب 363 ونقل ابن الجعد في المسند: سَمِعْتُ عَمْرَو بْنَ مُرَّةَ يَقُولُ : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ قَدْ كَبِرَ ، وَكَانَ يُحَدِّثُنَا ، فَنَعْرِفُ وَنُنْكِرُ.

[4]- شرح مشكل الاثار 3 /46

[5]- وجدت هذا الحديث بهذا اللفظ عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال " منبري هذا على ترعة من ترع الجنة وما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة " أخرجه الطبراني في الأوسط (39513) رقم (3134) من حديث أبي سعيد الخدرى قال الهيثمى : إسناده حسن (مجمع 9/3)

ومن حديث أبي هريرة أخرجه أحمد في المسند رقم (10908) وقال الهيثمى : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (مجمع9/4). وأخرج شقه الأول بلفظ " ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة " البخاري في فضل الصلاة / باب فضل ما بين القبر والمنبر (1195) و مسلم في الحج / باب فضل ما بين قبره ومنبره (493/9) رقم (1390) وأخرج شقه الاول بلفظ ما بين قبري ومنبري..." أحمد في المسند من حديث أبي سعيد الخدري برقم 11610 ومن حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أخرجه ابن ابي شيبة في المصنف برقم 31659 ومن حديث أم سلمة أخرجه النسائي في الكبرى كتاب المناسك باب بين القبر والمنبر برقم 4276 ومن حديث أبي سعيد أخرجه ابو يعلى في المسند برقم 1341 وقال محققه حسين أسد إسناده ضعيف

ترع الجنة، والترعة باب المشرعة إلى الماء، أي: إنما هو باب إلى الجنة.قال جابر بن عبد الله الأنصاري: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ارتعوا في رياض الجنة" قالوا: وأين رياض الجنة يا رسول الله؟ قال: "مجالس الذكر"[1] وهذا كما قال في حديث آخر: "عائد المريض، على مخارف الجنة" [2] والمخارف: الطرق، واحدها: مخرفة. أي طريقها. وإنما أراد أن عيادة المريض تؤدي إلى الجنة، فكأنه طريق إليها. وكذلك مجالس الذكر، تؤدي إلى رياض الجنة، فهي منها...

وقد يذهب قوم إلى أن ما بين قبره ومنبره، حذاء روضة من رياض الجنة، وأن منبره حذاء ترعة من ترع الجنة،فجعلهما من الجنة، إذ كانا في الأرض، حذاء ذينك في السماء.

والأول أحسن – عندي– والله أعلم.[3]

أثر المقاصد في هذا الجواب

استند ابن قتيبة في هذا الجواب عما ادعوه من اختلاف وتناقض إلى أن الحديث محمول على المجاز لا على الحقيقة، لأن مقصود النبي صلى الله عليه وسلم هو بيان فضيلة هذه الأماكن، ولم يقصد المعنى الظاهر حتى يزعموا مخالفته للقرآن والعيان، ولقد تأول ابن قتيبة الأحاديث بناء على هذا المقصود، فحديث مابين بيتي (قبري) ومنبري روضة .."أراد فضيلة الصلاة والذكر والدعاء في هذا الموضع، وأن إكثار التعبد في هذا الموضع طريق إلى الجنة، وإنما اكتسب هذه الفضيلة ،لأنه موضع شهد ما لم يشهده غيره من تنزل الوحي، وتعبد فيه النبي والصحابة، وهذا فيه إشارة إلى تعظيم آثار النبوة والوحي، وقوله منبري على ترعة ..." أراد أنه باب ومدخل إلى الجنة، كما أن الترعة في اللغة هي المشرعة والمدخل، ثم أخذ ابن قتيبة يدلل على صحة هذا المعنى بالأحاديث والآثار مما يؤكد صحة هذا المعنى وأنه هو مقصود النبي صلى الله عليه وسلم

ثم ذكر ابن قتيبة توجيها آخر : وهو أن المقصود أن ما بين البيت والمنبر حذاء روضة من رياض الجنة ..."الخ وهو معنى سائغ أيضا ومحتمل غير أن ابن قتيبة استحسن الأول

ويؤكد الحافظ ابن حجر أن الحديث محمول على المجاز وقد يحمل على الحقيقة فيقول :" قوله (روضة من رياض الجنة) أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من ملازمة حلق الذكر لاسيما في عهده صلى الله عليه وسلم فيكون تشبيها بغير أداه أو المعنى : العبادة فيها تؤدى إلى الجنة فيكون مجازاً ،أو هو على ظاهره ،وأن المراد أنه روضة حقيقية بأن ينقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة ".[4]

---

[1] – أخرجه بنحوه الحاكم في المستدرك (494/1) ، وقال صحيح ولم يخرجاه وقال الذهبي : عمر ضعيف قلت وإسناد ابن قتيبة ضعيف لإن فيه عمر مولى غفرة عن أيوب بن خالد فيه لين ولا متابع لهما فالحديث ضعيف ، قال الهيثمى : عمر مولى غفره وثقة غير واحد وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح (مجمع 77/10)، وقال المنذرى : عمر فيه كلام وبقية رجالة ثقات محتج بهم والحديث حسن (الترغيب والترهيب 323/2)

[2] – مسلم في البر والصلة / باب فضل عيادة المريض برقم (2568)

[3] تأويل مشكل الحديث (369/1)

[4] – فتح الباري (124/4)

المبحث الثالث: نماذج من الأحاديث المشكلة تتعلق بالأمة وجواب ابن قتيبة عنها وأثر المقاصد في ذلك

النموذج الأول: قالوا: رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "مثل أمتي مثل المطر، لا يدرى أوله خير، أم آخره"[1].
ثم رويتم "إن الإسلام بدأ غريبا، وسيعود غريبا"[2]. وأنه قال: "خير أمتي، القرن الذي بعثت فيه"[3]

محل الإشكال:

قالوا: وهذا تناقض واختلاف.قلت : لأنهم فهموا أن الحديث الأول يفيد عدم انحصار الخيرية في الأوائل، والثالث ضده، والثاني فهموا منه قلة الخيرية في الأوائل والأواخر . وبناء على هذا زعموا وجود التناقض

جواب ابن قتيبة

قال أبو محمد: ونحن نقول: إنه ليس في ذلك تناقض ولا اختلاف، لأنه أراد بقوله: "إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا" أن أهل الإسلام حين بدأ قليل، وهم في آخر الزمان قليل إلا أنهم خيار. ثم ذكر أمثلة يستشهد بها على صحة هذا المعنى
وأما قوله: "خير أمتي، القرن الذي بعثت فيه" فلسنا نشك في أن صحابته خير ممن يكون في آخر الزمان، وأنه لا يكون لأحد من الناس، مثل الفضل الذي أوتوه.
وإنما قال: "مثل أمتي، مثل المطر، لا يدرى أوله خير أم آخره" على التقريب لهم من صحابته كما يقال: ما أدري، أوجه هذا الثوب أحسن أم مؤخره. ووجهه أفضل إلا أنك أردت التقريب منه.[4]

الفهم المقاصدي وأثره في دفع الإشكال

لقد ارتكز ابن قتيبة في دفع هذا التناقض المزعوم ببيان أن لكل حديث من هذه الأحاديث مقصدا إذا حمل عليه زال هذا التناقض المدعى، فحديث بدأ الاسلام غريبا المقصود منه أن أهل الإسلام كما كانوا قلة في أوله فكذلك هم في آخره ، وهم مع قلتهم خيار ثم ساق من الآثار والأخبار ما يستشهد به على صحة هذا المعنى
أما حديث خير الناس القرن الذي بعثت فيه فلا يعارض حديث مثل امتي ..." لأنه لا شك في خيرية الصحابة أما مقصود النبي بالحديث هو التقريب بينهم في الفضل وإن كانوا دونهم في الفضيلة ثم ساق من الاستعمالات اللغوية ما يدلل به على صحة هذا

---

[1] – أخرجه من حديث انس الترمذى فى الأمثال / باب رقم (6) (287/7) رقم (2869) وقال حسن غريب من هذا الوجه ومن حديث عمار بن ياسر أخرجه أحمد فى المسند (292/14) رقم (18783) قال الهيثمى : فيه موسى بن عبيدة الربذى ضعيف (مجمع 68/10) و ابن حبان (2307) مورد (ص574) وقال ابن حجر : حديث حسن له طرق يرتقى بها إلى الصحة وصححه ابن حبان من حديث عمار (فتح 8/7)

[2]– أخرجه من حديث عبد الله بن عمر مسلم فى الإيمان / باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين (334/1) رقم (146)
.

[3] – أخرجه بلفظ مقارب من حديث ابن مسعود. البخارى فى الشهادات / باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد برقم (2652) وفضائل الصحابة / باب فضائل أصحاب النبى برقم(3651) و مسلم فى فضائل الصحابة / باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم رقم (2533)

[4] – تأويل مشكل الحديث (350/1)

المعني ومن العلماء من قال: لا يلزم من هذا – أى التمثيل بالمطر – المساواة فى الأفضلية ولو ذهب إلى الخيرية فالمراد وصف الأمة قاطبة سابقها ولاحقها – أولها وآخرها بالخير وأنها ملتحمة بعضها ببعض مرصوصة البنيان مفرغة كالحلقة التى لا يدرى أين طرفاها فالحاصل أن الأمة مرتبط بعضها ببعض فى الخيرية بحيث أبهم أمرها فيها وارتفع التمييز بينها وإن كان بعضها أفضل من بعض فى نفس الأمر وهو قريب من سوق المعلوم مساق غيره [1] .وهذا أيضا توجيه مقبول يرفع الإشكال وتلتئم به الأحاديث وهناك من حمله على أن حديث خير القرون باعتبار المجموع والحديث الآخر باعتبار الأفراد قال ابن حجر " هل هذه الأفضلية بالنسبة إلى المجموع أو الأفراد محل بحث وإلى الثاني نحا الجمهور والأول قول ابن عبد البر والذي يظهر أن من قاتل مع النبي صلى الله عليه وسلم أو في زمانه بأمره أو أنفق شيئا من ماله بسببه لا يعدله في الفضل أحد بعده كائنا من كان وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث والأصل في ذلك قوله تعالى: (لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) الآية [2] وهكذا كان النظر في مرامي النصوص وادراك حقيقتها بابا زال به ما ادعوه من تناقض واختلاف

النموذج الثاني :

قالوا: رويتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليؤمكم خياركم، فإنهم وفدكم إلى الجنة، وصلاتكم قربانكم، ولا تقدموا بين أيديكم إلا خياركم"[3].

ثم رويتم: "صلوا خلف كل بر وفاجر، "[4] ، ولا بد من إمام بر أو فاجر [5].

وجه الإشكال

---

(1) شرح المشكاة (3967/12 ،3968) بتصرف .

[2] – ينظر فتح الباري (8/7)

[3] – أخرج نحوه من حديث مَرْثَدِ بْنِ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيِّ،ابن أبي عاصم في الاحاد والمثاني برقم 317 والطبراني في الكبير (328/20) برقم 777 والدارقطني في السنن (2/ 464)برقم 1882 وقال إِسْنَادٌ غَيْرُ ثَابِتٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى ضَعِيفٌ والحاكم في المستدرك 222/3 وسكت عنه وللحديث شواهد لا تخلو من علة ينظر نصب الراية 26/2 والفوائد المجموعة ص32

[4] – أخرجه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الطبراني في الكبير (447/12) رقم (3622) وقال الهيثمي : محمد بن الفضل بن عطية كذاب (مجمع 67/2) و الدارقطني في العيدين / باب صفة من تجوز الصلاة معه ومن تجوز الصلاة عليه (56/2) . ومن حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أخرجه الدار قطني فى العيدين / باب من تجوز الصلاة معه وعليه (56/2) وقال الدارقطني : عمرو بن صبيح متروك .ومن حديث علي بن أبي طالب ﷺ أخرجه الدار قطنى فى صلاة العيدين / باب صفة من تجوز الصلاة معه وعليه (57/2) ومن حديث أبي هريرة ﷺ :أخرجه أبو داود في الجهاد / باب الغزو مع أئمة الجور (2530) ، والدار قطني في العيدين / باب صفة من تجوز الصلاة معه وعليه (55/2) قال مكحول لم يسمع من أبي هريرة ومن دونه ثقات وله شواهد لا تخلو من علة وقال العقيلى : ليس فى هذا المتن إسناد يثبت . قال ابن حجر : أصح ما فيه حديث مكحول على إرساله ، وقال أبو أحمد الحاكم : حديث منكر (التلخيص الحبير 563/2) . وقال ابن الهمام وقد روى هذا المعنى من عدة طرق للدار قطنى وأبى نعيم والعقيلى وكلها مضعفة من قبل بعض الرواه وبذلك يرتقى إلى درجة الحسن عند المحققين وهو الصواب . هـ.فتح القدير (350/1)

[5] – تأويل مشكل الحديث (464/1) وهذه اللفظة "لابد من إمام بر أو فاجر " قديتوهم البعض من السياق انها من تتمة الحديث السابق وليس كذلك فلم تذكر في أي طريق من طرقه بل وجدتها من كلام سيدنا علي رضي الله عنه أخرجها عنه مطولا ابن أبي شيبة في المصنف كتاب الجمل باب ما ذكر في الخوارج برقم 39062 واسناده حسن لان فيه عاصم بن ضمرة قال فيه الحافظ صدوق تقريب (340)

أن الحديث الأول فيه الأمر بتقديم الأخيار للإمامة والثاني فيه الصلاة خلف أي أحد برا كان أوفاجرا فزعموا أن هذا تناقض واختلاف.

جواب ابن قتيبة

قال أبو محمد: ونحن نقول: إنه ليس ههنا – بنعمة الله– اختلاف.

وللحديث الأول موضع، وللثاني موضع.وإذا وضع كل واحد منها موضعه، زال الاختلاف.

أما قوله: "ليؤمكم خياركم فإنهم وفدكم إلى الجنة ولا تقدموا بين أيديكم إلا خياركم" فإنه أراد أئمة المساجد في القبائل والمحال، وأن لا تقدموا منهم إلا الخير التقي القارئ، ولا تقدموا الفاجر الأمي.

وأما قوله: صلوا خلف كل بر وفاجر، ولا بد من إمام بر أو فاجر" فإنه يريد السلطان، الذي يجمع الناس ويؤمهم في الجمع والأعياد يريد: لا تخرجوا عليه، ولا تشقوا العصا، ولا تفارقوا جماعة المسلمين، وإن كان سلطانكم فاجرا، فإنه لا بد من إمام بر أو فاجر، ولا يصلح الناس إلا على ذلك، ولا ينتظم أمرهم...".[1]

الفهم المقاصدي وأثره في إزالة الإشكال

بالنظر في جواب ابن قتيبة في الرد على هذا الإشكال نجد أنه وجه كل حديث بناء على المقصود منه فالحديث الأول الخطاب فيه موجه إلى عموم الناس في المساجد والقبائل فعليهم أن يختاروا الأفضل التقي القارئ

أما الحديث الثاني فالمقصود به الأئمة من الأمراء وهؤلاء تقدمهم بحكم سلطانهم ولا حيلة للناس في منعهم ولو حدث ذلك ستؤدي إلى فتنة ولو لم يصلوا خلفهم لضيعت وتعطلت صلاة الجماعة وهذا مخالف لقواعد الدين وهكذا رأينا من خلال معرفة المقصود من كل حديث والنظر في المقاصد العامة أنه لا يوجد تناقض كما زعموا

هذا وقد اختلف العلماء في مسألة إمامة الفاسق بناء على الآثار والأخبار الواردة، وكان النظر في المقاصد له أثر على هذا الاختلاف.

فمن قال بعدم إمامة الفاسق ومن في حكمه قال"لأن في تقديمه تعظيمه، وقد وجب إهانته شرعاً، ولأن الفاسق لا يهتم بأمر دينه، ولأن الإمامة من باب الأمانة، والفاسق خائن، ولأن مبنى الإمامة على الفضيلة، ولأن الناس لا يرغبون في الصلاة خلف الفاسق والمبتدع، فتؤدي إمامتهما إلى تنفير الجماعة وتقليلها، وذلك مكروه، ولقوله عليه السلام: اجعلوا أئمتكم خياركم، فإنهم وفدكم فيما بينكم وبين ربكم."[2] ، وبهذا أخذ المالكية. ومن قال بجواز إمامة الفاسق ومن في حكمه وهم الشافعية والحنفية قال : لأنه "لا تفسد صلاة من صلى خلف الفاسق والمبتدع لعدم ما يدل على اشتراط عدالة الإمام في حق صحة صلاة المقتدي، وجواز الاقتداء، ولأن جواز الصلاة متعلق بأداء الأركان، وهما قادران عليهما، ولأن عدم قبول صلاتهما لا يستلزم عدم جواز الاقتداء بهما، ولا عدم قبول صلاة المؤتمين بهما فضلاً عن فساد صلاتهم، لأن الذم والوعيد إنما هو متوجه إلى من كره القوم إمامته لا إلى المؤتمين، كما

[1] –تأويل مشكل الحديث (464/1)

[2] – مرعاة المفاتيح 59/4

لايخفى، ولأن من صحت صلاته لنفسه صحت لغيره، أي صحت إمامته وجاز الائتمام به، ولقوله عليه السلام: لا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه،[1] ولحديث أبي هريرة .السابق..، وهي أحاديث كثيرة دالة على صحة الصلاة خلف كل بر وفاجر أي فاسق [2]
فقد نظر كل فريق في مقاصد معينة حمل عليها وجهته ويجمع هذه الأقوال ما ذكره العلامة المباركفوري حيث وجه كل حديث على حال بعينها فقال " والحاصل: أنه يحرم على الفاسق، وفي حكمه المبتدع، التقدم للإمامة، ولا يجوز للقوم أن يقدموه ولو قدموه مع قدرتهم على المنع والعزل أثموا، وصحت الجماعة خلفه مع الكراهة التحريمية، ولا تفسد الصلاة لعدم ما يدل على بطلان صلاة المؤتمين به. ولو عجزوا عن المنع والعزل، وأمكنهم الصلاة خلف غيره بالتحول إلى مسجد آخر فهو أفضل، وإلا فالاقتداء به أولى من الانفراد، وصحت صلاتهم خلفه، لكن لا تخلو عن الكراهة، يعني يكونون محرزين لثواب صلاة الجماعة، لكن لا ينالون مثل ما ينال من صلى خلف تقي. وبما قلنا يحصل الجمع بين الأدلة المتعارضة الواردة في هذه المسألة.[3] ومن خلال ذلك رأينا أثر المقاصد في الترجيح بين الخبرين عند من رجح أحدهما على الاخر و كانت المقاصد ايضا لها مدخل قوي عند من جمع بين النصين
وبهذا يكون الحديث الأول محمولا على حال الاختيار والثاني عند عدم الاختيار وتكون قد روعيت المقاصد في الجمع بين هذه الأحاديث والله أعلم

النموذج الثالث

حديث من قتل دون ماله فهو شهيد [4] مع حديث عبد الله سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: "تكون فتنة النائم فيها خير من المضطجع والمضطجع خير من القاعد والقاعد خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي قتلاها كلها في النار قال قلت ومتى ذاك يا رسول الله؟ قال ذاك أيام الهرج قلت ومتى أيام الهرج؟ قال حين لا يأمن الرجل جليسه قال قلت فبم تأمرني إن أدركت ذلك قال ادخل بيتك قلت أفرأيت إن دخل علي قال فادخل مخدعك قال قلت أفرأيت إن دخل علي قال قل هكذا بُؤْ بإثمي وإثمك وكن عبد الله المقتول)[5]

موضع الإشكال فيه

[1] – أخرجه مسلم كتاب المساجد باب من أحق بالإمامة برقم 673

[2] مرعاة المفاتيح 4/ 61

[3] مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (61/4)

[4]– أخرجه البخاري كتاب المظالم باب من قاتل دون ماله برقم 2480 ومسلم كتاب الايمان باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق، كان القاصد مهدر الدم برقم 226

[5]– لفظ ابن قتيبة " كن حلس بيتك ...ولم اجده بهذا اللفظ واللفظ المذكور بمعناه أخرجه من حديث عبد الله ابن مسعود ابن ابي شيبة في المصنف كتاب الفتن باب من كره الخروج في الفتن برقم (37429)وأحمد في المسند رقم (4286)وابو داود في السنن كتاب الفتن باب النهي عن السعي في الفتنة برقم 4258 قَالَ الْمُنْذِرِيُّ : فِي إِسْنَاده الْقَاسِم بْن غَزْوَانَ وَهُوَ شِبْه مَجْهُول ، وَفِيهِ أَيْضًا شِهَاب بْن خِرَاش أَبُو الصَّلْت الْحَرَشِيّ قَالَ اِبْن عَدِيّ : وَفِي بَعْض رِوَايَاته مَا يُنْكَر عَلَيْهِ . ينظر عون المعبود (325/7) ومن حديث ابي ذر بنحوه أخرجه أبو داود فى الفتن / باب النهى عن السعى فى الفتنة (7/ 327) رقم (4255) وأخرجه ابن ماجه فى الفتن / باب التثبت فى الفتن (1308/2) رقم (3958) وبنحوه من حديث محمد بن مسلمة ﷺ أخرجه ابن ماجة فى الفتن / باب التثبت فى الفتنة (1310/2) رقم (3962) قال البوصيري : إسناد صحيح إن ثبت سماع حماد بن سلمة عن ثابت البنانى(مصباح الزجاجة 291/2) .

أن الحديث الأول يدعو لعدم الاستسلام لمن يعتدى عليك بل يجعل من يدافع عن عرضه ونفسه وماله شهيدا بينما الثاني يأمر بالسكون والاستسلام حتى تقتل وهذا في الظاهر يخالف الأول

جواب ابن قتيبة قال أبو محمد:ونحن نقول: إن لكل حديث موضعا، غير موضع الآخر، فإذا وضعا بموضعيهما، زال الاختلاف. لأنه أراد بقوله: "من قتل دون ماله فهو شهيد" من قاتل اللصوص عن ماله، حتى يقتل في منزله، وفي أسفاره. ولذلك قيل في حديث آخر: "إذا رأيت سوادا في منزلك، فلا تكن أجبن السوادين[1] ". يريد: تقدم عليه بالسلاح، فهذا موضع الحديث الأول.

وأراد بقوله: "كن حلس بيتك، فإن دخل عليك، فادخل مخدعك، فإن دخل عليك، فقل: بؤ بإثمي وإثمك، وكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل" أي: افعل هذا في زمن الفتنة، واختلاف الناس على التأويل، وتنازع سلطانين، كل واحد منهما يطلب الأمر، ويدعيه لنفسه بحجة، يقول: فكن حلس بيتك في هذا الوقت، ولا تسل سيفا، ولا تقتل أحدا، فإنك لا تدري من المحق من الفريقين، ومن المبطل، واجعل دمك دون دينك.

وفي مثل هذا الوقت قال: "القاتل والمقتول في النار ".

فأما قوله تعالى: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله}[2] فإنه أمر بذلك الجميع منا، بعد الإصلاح، وبعد البغي – وأمر الواحد والاثنين والثلاثة، إذا لم يجتمع ماؤنا على الإصلاح بينهما، أن نلزم منازلنا، ونقي أديانا بأموالنا، وأنفسنا.[3]

الفهم المقاصدي وأثره في إزالة الإشكال

لقد ارتكز جواب ابن قتيبة في دفع هذا التعارض الظاهر ببيان المقصود من كل حديث فكل واحد من الحديثين يتعلق بحالة غير الأخرى فالجهة فيهما منفكة فالأول يقصد به النبي صلى الله عليه وسلم حالة التعدي على الإنسان في زمن السلم بسرقة أواعتداء على النفس أو العرض فلا يمكن أبدا أن يرضى النبي للمؤمن الذلة وضياع الحقوق وانتهاك الحرمات فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن من حق المسلم أن يدفع ويدافع عن ماله وعرضه ولو فقد روحه في هذه المدافعة فهو شهيد وهذا منسجم تماما مع ما جاء به الشرع من إعلاء كرامة المسلم وحفظ حقوقه وقد ذكر ابن قتيبة لتأييد هذا المعنى أثرا وهو : "إذا رايت سوادا في منزلك فلا تكن أجبن السوادين".

أما الحديث الآخر فالمقصود به زمن معين وهو زمن الفتن واختلاط الأمور وحصول الهرج والتنازع على السلطان بحيث يلتبس الحق على الإنسان ففي هذه الحال يلزم بيته فإن اعتدى عليه معتد يكون خير ابني ادم ويترك القاتل يبوء بإثم قاتله وهو بهذا الصنيع يحفظ دينه ويدفع دمه ثمنا لكي يسلم له دينه؛ لانه في مثل هذه الحال القاتل والمقتول في النار على نحو ما جاء في الحديث فكان التخصيص بناء على فهم المقاصد وهذا المعنى في كلا الحديثين ظاهر من سياقه ولا يلتبس الأمر إلا على جاهل أو معاند، والمسألة

---

[1] – أخرجه ابن ابي شيبة في المصنف كتاب الطب الرجل يفزع من الشيء ، موقوفا على ابن عباس، وإسناده ضعيف لأنه من رواية الاعمش عن مجاهد وقد قال ابن المديني وغيره لا يثبت منها إلا ما قال سمعت ينظر تهذيب التهذيب ترجمة الأعمش (222/4)

[2] – سورة الحجرات من الآية 9

[3] تأويل مشكل الحديث (448/1) بتصرف

محل بحث بين العلماء قال الطبرى : اختلف السلف فحمل بعضهم ذلك على العموم وهم من قعد عن الدخول فى القتال بين المسلمين مطلقاً كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبى بكرة فى آخرين وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها ثم اختلف هؤلاء فقالت طائفة بلزوم البيوت وقالت طائفة بل بالتحول عن بلد الفتن أصلاً ثم اختلفوا فمنهم من قال إذا هجم عليه شئ من ذلك يكف يده ولو قتل ومنهم من قال بل يدافع عن نفسه وماله وأهله وهو معذور إن قتل أو قتل . وقال آخر : إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت الحرب وجب قتالها وكذلك لو تحاربت الطائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطئ ونصر المصيب وهذا قول الجمهور وفصل آخرون فقالوا كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذ مفتوح وتنزل الأحاديث التى فى هذا الباب وغيره على ذلك، وهو قول الأوزاعى ، قال الطبرى : والصواب أن يقال إن الفتنة أصلها الابتلاء، وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه فمن أعان المحق أصاب ومن أعان المخطئ أخطأ وإن أشكل الأمر فهى الحالة التى ورد النهى عن القتال فيها ، وذهب آخرون إلى أن الأحاديث وردت فى حق ناس مخصوصين وأن النهى مخصوص بآخر الزمان حيث يحصل التحقيق أن المقاتلة إنما هى فى طلب الملك وقد وقع فى حديث ابن مسعود – عند أحمد – " قلت يا رسول الله ومتى ذلك ؟ قال : أيام الهرج قلت ومتى ؟ قال : حين لا يأمن الرجل جليسه " [1] .

ومن خلال فهم هذه المقاصد واستحضارها وجه العلماء الأحاديث على اختلاف الأزمنة والأحوال وبذلك يزول الاختلاف الذي ادعوه والله أعلم

النموذج الرابع

قالوا: رويتم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "في المسافر وحده شيطان، وفي الاثنين شيطانان، وفي الثلاثة ركب"[2].

ثم رويتم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبرد البريد وحده[3]، وأنه خرج وأبو بكر، مهاجرين.[4]

موضع الإشكال

لقد استشكلوا على هذا الحديث من جهتين: الأولى:وصف الحديث للمسافر وحده بأنه شيطان وفهموا المراد أن المسافر وحده شيطان أوبمنزلة الشيطان وهذا لا يجوز كما زعموا

الثانية: معارضة الحديث بأن النبي كان يرسل البريد وحده وكانت رحلة الهجرة هو والصديق وهما اثنان

---

[1]– فتح البارى (39/13 ، 40) .

[2] – رواه ابو داود كتاب الجهاد باب في ان يسافر الرجل وحده برقم 2600 والترمذي في أبواب الجهاد باب في كراهية أن يسافر الرجل وحده برقم 1674 وقال حديث حسن أخرجه أصحاب السنن من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا.. وهو حديث حسن الإسناد وقد صححه بن خزيمة والحاكم وأخرجه الحاكم من حديث أبي هريرة وصححه. الفتح (53/6)

[3] – أخرج ابن ابي شيبة في المصنف (349/12)عَنِ الْقَاسِمِ ، قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُبْرِدُ."وقال الشيخ عوامة: مرسل رجاله ثقات ولم أره في مصدر آخر سوى عند ابن قتيبة وساقه بلفظ ابن قتيبة وقد ورد في أكثر من خبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يرسل بعض الصحابة فرادى

[4] – حديث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حديث مشهور أخرجه اصحاب الكتب المعتمدة فأخرجه البخاري في مناقب الانصار باب هجرة النبي وأصحابه الى المدينة برقم 3905 الحديث بطوله

جواب ابن قتيبة

قال أبو محمد: ونحن نقول: إنه أراد بقوله: "المسافر وحده شيطان" معنى الوحشة بالانفراد وبالوحدة، لأن الشيطان يطمع فيه، كما يطمع فيه اللصوص، ويطمع فيه السبع. فإذا خرج وحده، فقد تعرض للشيطان، وتعرض لكل عاد عليه من السباع أو اللصوص، كأنه شيطان.

ثم قال: "والاثنان شيطانان" لأن كل واحد منهما متعرض لذلك، فهما شيطانان، فإذا تناموا ثلاثة، زالت الوحشة، ووقع الأنس، وانقطع طمع كل طامع فيهم، وكلام العرب إيماء وإشارة وتشبيه.

يقولون: "فلان طويل النجاد" والنجاد: حمائل السيف، وهو لم يتقلد سيفا قط، وإنما يريدون: أنه طويل القامة، فيدلون بطول نجاده على طوله، لأن النجاد القصير لا يصلح على الرجل الطويل...الخ

وأما قولهم: "كان يبرد البريد وحده" والبريد الرسول، يبعث به من بلد إلى بلد ويكتب معه، ...فإنه كان يبعث به من بلد إلى بلد وحده ويأمره أن ينضم في الطريق، إلى الرفيق يكون معهم، ويأنس بهم. وهذا شيء يفعله الناس في كل زمان.

ومن أراد أن يكتب كتابا، وينفذه مع رسول إلى بلد شاسع، فإنه لا يجب عليه أن يكتري ثلاثة؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "الواحد شيطان، والاثنان شيطانان، والثلاثة ركب".

وإنما يجب هذا على الرسول -إذا هو خرج- أن يلتمس الصحبة، ويتوقى الوحدة. وأما خروج النبي صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر، حين هاجر، فإنهما كانا في ذلك الوقت خائفين على أنفسهما من المشركين، فلم يجدا بدا من الخروج. ولعلهما أملا أن يوافقا ركبا، كما أن الرجل يخرج من منزله وحده، على تأميل وجدان الصحابة في الطريق. فلما أمكنهما أن يستزيدا في الطريق عددا، استأجر أبو بكر رضي الله عنه هاديا، من بني الديل، واستصحب عامر بن فهيرة مولاه، فدخلوا المدينة، وهم أربعة أو خمسة.[1]

الفهم المقاصدي وأثره في دفع الإشكال

بالتأمل في معنى الحديث نجد أن الذي ورد فيه لا يمكن حمله على ظاهره كما أن كلامه صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يناقض بعضه بعضا لهذا فإن ابن قتيبة في دفعه لما أثير حول الحديث من الإشكال تأول الحديث بحمله على المجاز وأن مقصد النبي هو الترهيب والتأديب، والنهي محمول على الأولى ولم يقصد به التحريم ،والمعنى المجازي الذي أشار إليه النبي هو أن المسافر وحده يستوحش، ويطمع فيه الشيطان ،ويتطرق إليه الخوف والقلق، وقد يتسلط الشيطان عليه بالوسوسة التي تزعجه وتجعله في اضطراب وعدم استقرار، وكذلك الاثنان، أما الثلاثة فهم أبعد عن حبائله ومكره ، وأخذ ابن قتيبة يؤيد صحة هذا الاستعمال بما ساقه من أمثلة عند العرب تؤكد على صحة هذا المعنى الذي ذهب إليه في الحديث وقد أكد الإمام مالك هذا المعنى عندما أخرج حديث

[1]- تأويل مشكل الحديث (473/1)

الراكب وحده شيطان وعقبه بحديث عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ ؛ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: " الشَّيْطَانُ يَهُمُّ بِالْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ، فَإِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً لَا يَهُمُّ بِهِمْ ".[1]

– قَالَ أَبُو عُمَرَ: كَأَنَّ مَالِكًا – رَحِمَهُ اللَّهُ – يَجْعَلُ الْحَدِيثَ الثَّانِيَ فِي هَذَا الْبَابِ تَفْسِيرًا لِلْأَوَّلِ.

وَالْمَعْنَى أَنَّ الْجَمَاعَةَ – وَأَقَلُّهَا ثَلَاثَةٌ – لَا يَهُمُّ بِهِمُ الشَّيْطَانُ، وَيَبْعُدْ عَنْهُمْ – وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْوَاحِدُ شَيْطَانًا، وَالِاثْنَانِ شَيْطَانَانِ ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ ؛ هُوَ الْبَعِيدُ مِنَ الْخَيْرِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: نَوَى شَطُونٌ، أَيْ بَائِنَةٌ بَعِيدَةٌ، فَالْمُسَافِرُ وَحْدَهُ يَبْعُدُ عَنْ خَيْرِ الرَّفِيقِ وَعَوْنِهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَتَمْرِيضِهِ، وَدَفْعِ وَسْوَسَةِ النَّفْسِ بِحَدِيثِهِ، وَلَا يُؤْمَنُ عَلَى الْمُسَافِرِ وَحْدَهُ أَنْ يُضْطَرَّ إِلَى الْمَشْيِ بِاللَّيْلِ، فَتَعْتَرِضُهُ الشَّيَاطِينُ الْمَرَدَةُ هَازِلِينَ وَمُتَلَاعِبِينَ وَمُفْزِعِينَ.[2]

وأما ما زعمو أنه يعارض الحديث أن النبي كان يبرد البريد وحده فإن البريد كان ينضم إلى القوافل السائرة وهذا معلوم من مراسلاتهم وكان الناس يفعلون ذلك وما ثبت عن أحد أنه أرسل ثلاثة بريدا وهذا مشهور عندهم لا يخفى وكما قدمت أن الأمر محمول على الكراهة لهذه المعاني التي أشرنا إليها فمن سافر وحده للضرورة كالمهمات الحربية التي كانوا يقومون بها في الحروب وما أشبهها فهي خارج محل النزاع وعليه يحمل سفره مع الصديق لأنهما كانا متخفيين كما أنه قد لحق بهم الدليل ابن أريقط وكان الاتفاق معه سابقا على الهجرة وانضم اليهم عامر ابن فهيرة حتى دخلو المدينة خمسة، وللعلماء كلام جيد في بيان مقصد الحديث قال ابن بطال في تعليقه على خبر مالك بن الحويرث " إن قال قائل: إباحته (صلى الله عليه وسلم) لمالك بن الحويرث وصاحبه أن يؤذنا ويقيما عند انصرافهما من عنده، يعارض قوله (صلى الله عليه وسلم) : (الراكب شيطان، والراكبان شيطانان) ونهيه أن يسافر الرجل وحده. قيل: ليس كما توهمت؛ لأنه لا يجوز على أخباره التضاد. قال الطبرى: ونهيه عن سفر الرجل وحده والاثنين نهى أدب وإرشاد لما يخشى على فاعل ذلك من الوحشة بالوحدة لا نهى تحريم، وذلك نظير نهيه عن الأكل من وسط الطعام، وعن الشرب من فى السقاء، والنهى عن المبيت على السطح غير المحجور، وكل ذلك تأديب لأمته، وتعريف لهم منه ما فيه حظهم وصلاحهم، لا شريعة ودين يحرجون بتضييعه وترك العمل به، فالعامل محتاط لنفسه من مكروه يلحقه إن ضيعه. وذلك أن السائر فى فلاة وحده والبائت فى بيت وحده إذا كان ذا قلب مخيف وفكر رديء لم يؤمن أن يكون ذلك سببًا لفساد عقله، والنائم على سطح غير محجور عليه غير مأمون أن يقوم بوسن النوم وغمور فهمه فيتردى منه فيهلك، والشارب من فى السقاء غير مأمون عليه انحدار ما خفى عليه استكنانه من الهوام القاتلة فى السقاء فيهلك أيضًا، وكذلك المسافر مع آخر قد يخشى من غائلته ولا يأمن مكره، فإذا كانوا ثلاثة أمن ذلك فى الأغلب، وهذا وما أشبهه من تأديبه (صلى الله عليه وسلم) لأمته. وأيضًا فإن الناس مختلفوا الأحوال متفاوتوا الأسباب فمن كَمِيٍّ باسل لا يهوله هائل ولا يبقى غول غائل، فهو لا يبالى وحده سلك المفاوز أو فى عسكر، فذلك الذى أذن عمر فى السير لمثله من المدينة إلى الكوفة وحده ...ومن مخيف الفؤاد يروعه كل منظر، ويهوله كل شخص، ويفزعه كل صوت، فذلك الذى يحرم عليه أن يسافر وحده ويمكن أن يكون الذى نهاه الرسول أن يبيت وحده كان بهذه الصفة، ومن أخذ بين

[1] – مالك في الموطأ برقم 805 من حديث سعيد ابن المسيب مرسلا وأخرجه البزار من حديث ابي هريرة برقم 7834

[2] – الاستذكار 27 /266

ذلك الاحتياط له فى نفسه ودينه ترك السفر وحده ومع آخر أيضًا، فمن كان الأغلب عليه الشجاعة، والقوة لم يكن إن شاء الله حرجًا ولا آثمًا، ومن كان الأغلب من قلبه الهلع ومن نفسه الخور خشيت عليه فى السفر وحده الإثم والحرج وأن يورثه ذلك العلل الردية.[1]

وفي ضوء فهم هذه المقاصد أيضا مع ما نعيشه من تقدم في وسائل السفر وطبيعة الأسفار في عصرنا والتي نادرا ما تجد الإنسان وحده في وسيلة مواصلات بل تجد معه الكثير من الناس فهذا ليس مسافرا وحده بل معه غيره وإن كان خارجا من بيته بمفرده، فمن خلال فهم المقصد استطعنا أن ننزل الحديث على الواقع وعرفنا ما يدخل تحته وما لا يدخل وهذا كله يؤكد أهمية الفهم المقاصدي في التعامل مع الأحاديث النبوية...

خاتمة

بعد هذا العرض لأثر الفهم المقاصدي في التعامل مع الأحاديث المشكلة أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة:

-أصالة الفهم المقاصدي في التراث الاسلامي فابن قتيبة من علماء القرن الثالث وقد ظهر أخذه بالفهم المقاصدي في التعامل مع الأحاديث المشكلة سواء كانت هذه المقاصد كلية أم جزئية

- أظهرت الدراسة اهمية الفهم المقاصدي وأثره في الدفاع عن السنة ورد الشبهات عنها

-أظهرت الدراسة أثر المقاصد في الجمع بين النصوص أو الترجيح بينها أو تأويلها بما يدفع التعارض او الاشكال عنها

- أظهرت الدراسة اعتماد بعض الضوابط للأخذ بالفهم المقاصدي ونستطيع القول إن هذا الكتاب محل الدراسة من أوائل الكتب التي نبهت بصورة تطبيقية على ضوابط الفهم المقاصدي

- من ضوابط الفهم المقاصدي التي أبرزتها الدراسة توافق الفهم المقاصدي مع الاستعمال اللغوي وأن يكون له شواهد في الاستعمال الشرعي

- من الضوابط ايضا معرفة سبب الورود وجمع الرويات لنصل الى الفهم المقاصدي الصحيح

-ان علماء السلف ومن بعدهم تعاملوا مع الاحاديث بناء على فهم مقاصدها وحاولوا من خلال هذا دفع الشبه الموجهة والتوفيق بين ما يظهر معارضته لغيره او الترجيح بينه وبين غيره

- الفهم المقاصدي لا يتعلق بأحاديث الأحكام وحدها بل بأحاديث الرقائق والفضائل أيضا

- البحث في ثبوت النص مرحلة سابقة على البحث في الفهم المقاصدي

التوصيات

- النظر في كتب المشكل والمختلف والتعرف على طرائق مؤلفيها في الاخذ بالفهم المقاصدي لا سيما كتب المتقدمين
- تخصيص ابحاث علمية للبحث عن ضوابط وآليات الفهم المقاصدي قي كتب شروح الحديث الشريف

[1] - شرح ابن بطال على البخاري 55/5

قائمة المراجع

-الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والإختصار. لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي 368هـ - 463هـ تحقيق: عبدالمعطي امين قلعجي. دار قتيبة - دمشق | دار الوعي حلب الطبعة: الأولى 1414هـ - 1993م

-إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم للقاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: 544هـ)تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م

-بلوغ الامال من مصطلح الحديث والرجال دكتور محمد محمود بكار ط دار السلام 2012

-تاويل مشكل الحديث لابن قتيبة تحقيق د/عبد الرحمن رمضان و د/ محمود حسن محمد و/ مصطفى حسن محمد حسن مكي ط دار الصالح 2020

-تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: 1353هـ)دار الكتب العلمية - بيروت

- تقريب التهذيب للحافظ بن حجر تحقيق محمد عوامة دار ابن حزم ط 1999

-خلق افعال العباد للبخاري محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي

دار المعارف السعودية - الرياض ، 1398 - 1978تحقيق : د. عبدالرحمن عميرة

-سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: 255هـ) دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، 1407

تحقيق: فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي

-سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: 273هـ)

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحل

-سنن أبي داود سُلَيْمَان بن الأَشْعَثِ السِّجِسْتَانِيِّ.ت 275 هـ طبعة دار الفكر - بيروت.

-سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي (209 ، 279 هـ)

تحقيق : بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي – بيروت سنة: 1998 م

-سنن الدارقطني لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: 385هـ): دار المعرفة - بيروت، 1386 - 1966

تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني

-شرح صحيح البخارى لابن بطال أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)

تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد - السعودية، الرياض الطبعة: الثانية، 1423هـ -

- شرح السنة . للإمام البغوى للحسين بن مسعود البغوي المكتب الإسلامي - دمشق . بيروت . 1403هـ - 1983م

-صحيح مسلم مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

-صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري

تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر دار طوق النجاة الطبعة : الأولى 1422هـ

-علم المقاصد الشرعية لنور الدين الخادمي مكتبة العبيكان الطبعة: الأولى 1421هـ- 2001م

-فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ بن حجر العسقلاني ط دار الريان للتراثعن الطبعة السلفية تحقيق محب الدين الخطيب ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي

-فتح القدير لكمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام (المتوفى: 861هـ): دار الفكر

-فضائل القرآن لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم البغدادي (المتوفى : 224هـ)تحقيق : مروان العطية - محسن خرابة - وفاء تقي الدين دار ابن كثير دمشق - بيروت طبع : 1420هـ

-الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثالثة ، 1407 تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعلمي

-الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث لأبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني

المتوفى: 365 هـ تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض دار الكتب العلمية

الطبعة: الأولى، 1997 م

-لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ

-المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين الإمام محمد بن حيان بن أحمد بن أبي حاتم التميمي البستي ت 354هـ تحقيق محمود إبراهيم زايد دار الوعي سنة 1396هـ

-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد * *للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة 807 طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة 1412 هـ،

-مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي مكتبة لبنان ناشرون - بيروت

الطبعة طبعة جديدة، 1415 - 1995 تحقيق: محمود خاطر

-مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (المتوفى: 1414هـ) إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند الطبعة: الثالثة - 1404 هـ، 1984

-المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري (المتوفى: 405هـ) تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي: دار الحرمين

البلد: القاهرة - مصر: 1417هـ - 1997 م